

الحلقة الخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تقوم مستمعي بتأدية واجباتك تجاه وطنك؟ ولعل أهم هذه الواجبات هي دفع الضرائب. إن هدف الحكومات هو خدمة الشعب، وسن القوانين التي تسعى لتنظيم شؤون المواطنين، وتدبير حياتهم الاقتصادية والحفاظ على أمنهم، وتشجيعهم على العمل المنظم الدؤوب الذي يعود بالنفع على المجتمع ككل. ولتحقيق هذه الغايات يجب أن تكون للدولة موارد مالية، تأخذها من الاستثمارات التي تقوم بها، ومن الضرائب التي تستوفيها من الشعب. فإذا تهرب المواطنون عن تأدية واجباتهم بدفع الضريبة لوقعت البلاد في عجز مالي، ولاضطرب الوضع الاقتصادي والاجتماعي والأمني.

دون لنا البشير متى في بشارة الإنجيل هذه الحادثة فكتب قائلاً: «وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفَرْنَاهُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدَّرْهَمِينَ إِلَى بَطْرُسَ وَقَالُوا: «أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمْ الدَّرْهَمِينَ؟» قَالَ: «بَلَى». فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَاذَا تَنْظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الْأَرْضِ الْجَبَايَةَ أَوْ الْجُزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؟ قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «مِنَ الْأَجَانِبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «فَإِذَا الْبُنُوتُ أَحْرَارًا. وَلَكِنْ لِنَلَّا نُعْزِرُهُمْ، أَذْهَبَ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقَى صِنَارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطَّلُعُ أَوَّلًا خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدُ اسْتِنَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ» (بشارة متى ١٧: ٢٤-٢٧). سنتأمل الآن بهذه الحادثة فابقوا معنا.

لكي نفهم هذه الحادثة التي قرأناها عليك مستمعي، علينا أن نعود للأوضاع في تلك الأيام، ونشرح عن القوانين التي كانت سائدة وقتئذٍ. فقد كان على كل الذكور اليهود أن يدفعوا ضريبة للهيكل بحسب الشريعة المدونة في العهد القديم، لكي يسددوا احتياجات خدمة الهيكل. وكان هناك جباة مخصصون لجباية الضريبة.

وعندما سأل الجباة التلميذ بطرس إذا كان المسيح وتلاميذه يدفعون هذه الضريبة: الدرهمين، أجابهم بتسرع بالإيجاب، دون معرفة حقيقية الأمر. وبذلك وضع المسيح وتلاميذه في موقف حرج. لكن المخلص المسيح استخدم هذا الموقف الحرج ليثبت أمراً مهماً.

ولهذا طرح على التلميذ بطرس السؤال التالي: «مَاذَا تَظُنُّ يَا سَمْعَانُ؟» - وكان هذا هو اسم بطرس - مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكَ الْأَرْضِ الْجَبَايَةَ أَوْ الْجَزِيَّةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؟» وبتعبير آخر كان سؤال المسيح: يأخذ الملوك عادة الجباية من بنيهم أي أهل بيوتهم وعائلاتهم الملكية، أم من الأجانب أي الرعية؟

فأجابه بطرس: «مِنَ الْأَجَانِبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «فَإِذَا الْبُنُونَ أَحْرَارٌ». لقد أراد المخلص المسيح القول: كما أن الملوك لا يدفعون الضرائب ولا يجبونها من عائلاتهم، هكذا لم يكن من المفروض عليه هو كملك أن يدفع الضريبة، أي يصبح معفياً أو حراً منها. وهنا يُطرح السؤال: هل اعتبر المخلص المسيح نفسه ملكاً؟

وللجواب نقول: بالتأكيد نعم. فهو الملك الموعود به، والذي تتبأ الأنبياء عن مجيئه منذ مئات السنين، وهو بالتالي صاحب أو ربُّ الهيكل. وليس هذا فحسب، بل اعتبر المسيح أن تلاميذه كأولاد الله، هم مثله معفيين من دفع هذه الضريبة، إذ هم من عائلته المالكة. لكن المسيح ولأنه لا يريد أن يعثر جباة الضرائب، قال لبطرس: «أَذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلًا خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحَتَ فَاهَا تَجِدُ إِسْتَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ». لقد كان المسيح وتلاميذه على شاطئ بحر الجليل أي بحيرة طبريا اليوم. وكان بطرس نفسه صياداً.

علينا أن لا نفترض أن العملة التي وجدها بطرس قد خُلقت بطريقة عجائبية في تلك اللحظة، بل بالحري أنها كانت قد سقطت إلى الماء وانجذبت السمكة إلى هذه المادة اللامعة فحاولت ابتلاعها، ولكن الشاغل علق في حنجرتها، ولذلك عندما اجتذبتها بطرس إلى اليابسة كانت العملة النقدية هناك كما قال له المسيح. لقد أكد بذلك الرب يسوع المسيح للتلميذ بطرس ولباقي التلاميذ أنه هو بالحقيقة ربُّ كل الخليقة، إذ علم ما في داخل فم هذه السمكة، وتمكّن من استخدامها لتجنب أي انتقاد. وفي نفس الوقت أعلن المسيح من خلال هذه الحادثة أنه هو الملك المنتظر، المسيح المخلص الذي أتى، تنميماً لوعود الله.

ما هو الدرس البليغ الذي نتعلمه من هذه الحادثة؟ لعلّ أهم وأول درس أنه علينا أن نقوم بواجباتنا كمواطنين تجاه الوطن الذي نعيش فيه، وعلى رأسها واجب دفع الضريبة. مع العلم أن هناك الكثيرين ممن يحاولون التهرب من دفع الضريبة، أو التحايل وعدم دفعها بشكل صحيح وكامل.

ولنلاحظ أن المخلص المسيح بالرغم من أنه كملك لم تكن تقع عليه مسؤولية دفع الضريبة، لكنه قام بدفعها لئلا يعثر جباة الضرائب. وهذا أمر مهم آخر: أنه على المؤمن بالمسيح أن لا يفعل شيئاً يُعثر الآخرين، أو يجعلهم يرفضون الإيمان المسيحي بسبب تصرفاته وأفعاله غير اللائقة.

والدرس الثالث المهم: أن الرب يسوع المسيح هو الملك الحقيقي الذي أتى، لا لكي يملك على مملكة أرضية كما ظنّ اليهود، لكن لكي يملك على قلوب البشر. وهو الذي نادى ببشارة ملكوت الله، ملكوت الله الذي يحل في قلوب الناس. فهو الذي قال أيضاً: «مملكتي ليست من هذا العالم» (بشارة يوحنا ١٨: ٣٦)، أي هي مملكة روحية.

أما الدرس الرابع والأخير: أن المسيح هو نفسه ربّ الخليقة، كلمة الله الأزلي، الذي بواسطته خُلقت الأكوان والعوالم. والذي قال عنه رسول المسيحية بولس: «فإنه فيه خُلِقَ الكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ» (الرسالة إلى أهل كولوسي ١: ١٦).

أمام هذه الحقائق الواضحة ما هو موقفك مستمعي الكريم؟ هل تؤمن بهذا الملك المخلص، رب الخليقة الذي أتى إلى عالمنا؟ وهل تعلم أنه قد مات على الصليب ليكفر عن ذنوبك وليهبك الغفران الكامل عنها؟ وأنه قام من بين الأموات ليجعلك من أولاد الله ولتنتال الحياة الأبدية؟ فهل تراك تؤمن بهذا الملك المخلص؟